العصر الجاهلي

فترة ما قبل الإسلام هي زمن العصر الجاهلي ، ويطلق مصطلح الجاهلية على ما كان سائدا في حياة العرب قديما من عبادة الأصنام ، والبطش والاعتداء على الآخرين وشرب والخمر والغنى الميسر وما كان في حياة الصحراء من شظف العيش والخشونة وما كان عليه العرب من تنقل وارتحال أجبرتهم عليه حرفة الرعي فصاروا يتنقلون وراء المرعى والكلأ والماء وحيثما وجدت إقاموا واستقرت حياتهم حتى يجف ويقضب فيرتحلون إلى مكان آخر بعد أن تكون لهم ذكريات ، وأحداث وأحاديث ، تجعلهم يحنون إلى هذا المكان أو ذاك فيتحرك وجداتهم وتحن قلوبهم فتهمي الكلمات على ألسنتهم شعرا يتغنون به في أسفارهم وفي حلهم وترحالهم ، وكثرت أسمارهم ومجالس الشعر يروونه ويتغنون به ويتسابقون فيه واتسم شعرهم بسمات منها :

- الصدق في تصوير العاطفة
- وتصوير الطبيعة من غير زخرف ولا تكلف
- التأثر بالبيئة من حوله
- الوضوح وذكر المعنى دون مبالغة

ومعلوم أن الشعر الجاهلي وصل إلينا عن طريق الرواية الشفوية والسماع وكان ممن برزوا في الرواية الشفوية أبو عمرو بن العلاء

والأصمعي والمفضّل الضبي وخلف الأحمر وحماد الراوية وأبو زيد الأنصاري وابن سلاّم الجمحي وأبو عمرو الشيباني وغيرهم.....

صورة المجتمع الجاهلي :

ساد النظام القبلي في حياة العرب الجاهلية ، وكانت القبيلة المكون الأساسي للمجتمع العربي آنذاك بما يحمل من خصائص وقيم أبرزها :

- الولاء للقبيلة والاعتزاز بها والعمل على خدمتها والتفاخر بها ، وبروز العصبية ، ونصرة ذوي القربى والأرحام إذا نالهم ضرر أو تعرضوا لظلم أو هلكة.
- الصراع القبلي وما ترتب عليه من نزاع وحروب ، نتيجة حرص كل قبيلة على مصلحتها وسعيها إلى السيادة والشرف بين القبائل .
- الأخذ بالثأر واستمرار أمده ، وسعي بعض القبائل لحقن الدماء ودفع ديات القتلى .

كان لشيخ القبيلة الكلمة النافذة والرأي المطاع باعتباره زعيمها والرأس المدبرة أمرها ومبرم اتفاقاتها ومواثيقها وعهودها مع غيرها من القبائل **وكان يتصف بصفات أبرزها:**

- الخبرة الواسعة والدراية ببواطن الأمور

- سداد الرأى وبعد النظروالقدرة علىَ حل المشكلات .
- الشجاعة في مواجهة الظروف والأحداث .
- الأريحية والكرم والبذل والعطاء .
- الغنى والثراء وعراقة الجاه .

وقد حملت إلينا كتب التراث ما قاله الشاعر لقيط بن يعمر الإيادي واصفا القائد وزعيم القوم في قوله :

وقلـــدوا أمـــركم – لله دركـــم –
رحب الذراع بأمر الحرب مطلعـــا
لا مترفا إن رخي العـــيش ســـاعده
ولا إذا عض مكروه بـــه خـــشعا
ولـــيس لـــه مـــال يثمـــره عـــنكم
ولا ولـــد يبغـــي لـــه الرفعـــا

- احتل الشعراء منزلة خاصة مرموقة في قبائلهم ، فكانوا بمثابة وسيلة الإعلام المعبرة عن القبيلة ، والمتحدث باسمها ؛ إذ كان لكل قبيلة شاعر أو أكثر يتغنى بأمجادها ، ويروي مفاخرها فجعلوا للشعر أسواقا يتبارون فيها ويتنافسون في نظم القصيد وهذا أمر أشبه بما يعقد من المنتديات الأدبية ومهرجانات الشعر ومحافله في أيامنا هذه ، ومن أسواق العرب :

- **سوق عكاظ (١) :**

أشهر أسواق العرب وأعرقها بل وأعظمها شأنًا في الجاهلية والإسلام، وتقع بين مكة والطائف، وكان يعرض فيها كل ما يتعلق بالتجارة كالحرير والمعادن والزيوت والبضائع المختلفة ، كما كانت منتدى أدبيا يجتمع فيها الشعراء من كل صوب وحدب ولهم محكّمون، كالنابغة الذبياني، تضرب لهم القباب وقولهم هو الفصل في الشعر والأدب.

وفي عكاظ علّقت القصائد السبع التي عرفت في تاريخنا الأدي باسم المعلقات.

وكان قس بن ساعدة الإيادي يقصدهذه السوق ، يخطب في الناس ويذكّرهم بقدرة الخالق وعظمته .

ومما ذكرته مصادر الأدب من آراء قضاة الشعر ومحكميه في سوق عكاظ ما روى أن النابغة الذبياني نقد حسان بن ثابت، **حين أنشده قوله:**

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

نقده بقوله:

أقللت جفانك وسيوفك (لأن الجفنات هي الجمع لأدنى العدد، أما الكثرة فتجمع على جفان، وكذلك الأسياف لأدنى العدد، والكثرة سيوف) وقلت يلمعن في الضحى ولو قلت: يبرقن في الدجى لكان أبلغ.

وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم.

- سوق مجنة :

اسمها مشتقّ من الجن أو الجنون، أو الجَنّة التي هي البستان، وكانت ذات جمال ومياه. وكان مكان انعقادها أسفل مكة بمرّ الظهران، وهو وادي فاطمة في أيامنا هذه،وروي أن الناس كانوا يذهبون إليها بعد عكاظ ويقيمون بها العشر المتبقية من ذي القعدة حتى يروا هلال ذي الحجة فينتقلوا إلى ذي المجاز.

- سوق ذي المجاز

تأتي هذه السوق في الأهمية بعد عكاظ ، وسميت بذلك لأن إجازة الحجيج تكون منها إلى عرفات. وهي على مسافة ثلاثة أميال من عرفات بناحية جبل كبكب. وقيل هي بمنى بين مكة وعرفات.

وفي هذه السوق يتم فيها مايتم في غيرها من البيع والشراء وتناشد الأشعار والمفاخرة ، وإظهار القدرة البلاغية والمواهب الشعرية.

وكانت تضرب خيمة كبيرة يجلس فيها كبار الشعراء مستمعين ومحكمين لإصدار الأحكام والمفاضلة بين الشعراء .

وكان لكل قبيلةً خطيب أو أكثر، يقدمون نتاجهم الأدبي ويعرضونه في أسواقهم ومنهم من كان يعرضه على أستارالكعبة .

وفي شبه الجزيرة العربية عبد العرب الأصنام والأوثان كما عبدوا بعض الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم ، ومنهم من كان يعبد (الشعري).

ومن أشهر أصنامهم (اللات) و(مناة) و (العزى) ، ومن العرب من صنع أصنامًا من التمر فإذا جاع أكلها ، وعبد بعض العرب ربهم على دين إبراهيم عليه السلام ، واتبع نفر منهم النصرانية ، واتبع غيرهم اليهودية كما في خيبر ويثرب.

وتمثل الجانب الاقتصادي في امتهان كثير من العرب حرفة الرعي وأجادوها وكانت لهم دراية واسعة بأنواع الإبل والخيول والأغنام والماشية ورعايتها وتربيتها .

وأجاد نفر منهم زراعة النخيل وبعض الشجر المثمر،اعتمادا على الري بماء المطر وما يخرج من الآبار، وعنوا بما تجود به هذه الزراعات من تمر وثمر.

وإلى جانب ذلك امتهنوا التجارة ، وكانت لهم رحلتا الشتاء والصيف إلى الشام واليمن .